مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان -2024)، ص 412-422
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

حسن حنفي وعلم الكلام (من الإلهيات إلى الإنسانيات)

Hassan Hanafi and Theology (from divines to humanities)

عبد الوهاب خالد *

1جامعة أم البواقي (الجزائر) ،abdelwahab.khaled@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/07 تاريخ القبول:13 /2024/05

ملخص:

لقد كانت مشكلات التراث الإسلامي مجال اهتمام المفكرين المعاصرين في العالم العربي عامة، وفي مصر خاصة خلال القرن العشرين والتي تدور مواقفهم حول العلاقة بين الله من جهة، والعالم والإنسان من جهة أخرى. ويعتبر حسن حنفي أحد رواد التيار الليبيرالي الإنساني في مصر، أو اليسار الإسلامي أو الديني، ويتضح جليا من خلال كتاباته التي تعكس نزعته الإنسانية والتي أعطت لعلم الكلام نظرة تجديدية، أين يصبح فيها الإنسان محور دراسة علم الكلام وموضوعاته و ليس الله، أي يتحول فيها علم الكلام من دراسة الإلهيات إلى دراسة الإنسانيات .

كلمات مفتاحية: حسن حنفي ؛ علم الكلام ؛ يسار ديني ؛ أنسنة ؛ تجديد التراث

Abstract :

Modern intellectuals in the Arab world, especially in Egypt, throughout the twentieth century have concentrated on the issues related to Islamic legacy. Their discussions predominantly concern the connection between God, the universe, and humanity. Hassan Hanafi is considered one of the pioneers of the liberal humanist movement in Egypt, in which the human being becomes the focus of the study of Islamic theology and its topics, and not God. That is Islamic theology turns from the study of theology to the study of the humanities.

Keywords: Hassan Hanafi ; theology ; religious left ; humanization ; heritage renewal

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

كثيرة هي القضايا الفلسفية والكلامية من التراث الإسلامي التي كانت محط اهتمام المفكرين المحدثين في العالم العربي عامة، وفي مصر خاصة خلال القرن العشرين على تعدد تياراتهم الفكرية سواء تجديدية دينية أم إحيائية أو ليبرالية إنسانية تدور مواقفها في مجملها حول العلاقة بين الله من جهة والعالم والإنسان من جهة أخرى. ولقد كان لكل تيار من هذه التيارات موقفه من التراث الكلامي والفلسفي، والفكر الغربي الوافد، سواء بالانحياز إلى الأول ومحاولة عرضه بصورة حداثية أو من خلال النظر إلى هذا التراث من منظور غربي، وإعادة النظر إليه على ضوء تطورات اللاهوت الليبرالي في الغرب خلال العصر الحديث.

يعد الدكتور حسن حنفي أحد رواد التيار الليبيرالي الإنساني في مصر، والذي يلقبه هو شخصيا بلقب اليسار الإسلامي أو الديني، ويتضح جليا من خلال كتاباته التي تعكس نزعته الإنسانية والتي أعطت لعلم الكلام نظرة تجديدية، أين يصبح فيها الإنسان محور دراسة علم الكلام وموضوعاته وليس الله، أي يتحول فيها علم الكلام من دراسة الإلهيات إلى دراسة الإنسانيات. هذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال بحثا عن أبعاد هذه النظرة التجديدية لعلم الكلام، وكذا أصولها المتنوعة، وأهمية هذا التصور الجديد للتراث الإسلامي. يسعى هذا المقال إلى الاجابة عن الاشكالية التالية: ماهي معالم الرؤية التجديدية لعلم الكلام عند حسن حنفي؟ سيتم تسليط الضوء على هذا السؤال من خلال استكشاف التوجه الذي ينتمي إليه ضمن ميدان علم الكلام المُحدث، إلى جانب استعراض المنهجية التي ينتهجها في بحثه وتحليله، والأساليب التي يوصي بها لتحديث النقاش في علم الكلام. ومن ثم، سنتوصل إلى توضيح الأهداف والتحديات التي يطرحها علم الكلام المُعاصر لدى العلامة المُجدد حسن حنفي .

2- حسن حنفي واليسار الإسلامي (اليسار الديني)

يعد فكر الأستاذ حسن حنفي نموذج للتجديد في التراث الإسلامي على ضوء هذه النزعة الجديدة، و المتمثلة في اليسار الإسلامي أو الديني، كما يمثل النزعة الإنسانية في الفكر العربي المعاصر، حيث تأخذ هذه النزعة الإنسانية صورة تكاد تكون متكاملة في كتابات "حسن حنفي" التجديدية لعلم الكلام، إذ يتحول علم الكلام لديه من دراسة "الإلهيات" إلى دراسة "الإنسانيات"، ليصبح "الإنسان" محور دراسات علم الكلام و موضوعاته لا "الله"، كما في الماضي، و إذا كانت المحاولات السابقة في محاولات ناقصة في هذا الاتجاه نفسه، يمكننا القول إن حسن حنفي قد استعرض بشكل شامل هذا الانتقال من التركيز على الله إلى التركيز على الإنسان في مختلف أصقاع البحث الكلامي، من خلال تفسيره أو إعادة صياغته للمكونات الأساسية للفكر الإسلامي بصفة عامة، متأثرًا بذلك بمسار التطور في اللاهوت الليبرالي الغربي. ويمكن الإشارة، دون أدنى مبالغة أو

تهور، إلى أن "الله" يختفي كليًا في أعمال حسن حنفي ليبرز بدلاً منه "الإنسان". (عبد الرازق،1995، صفحة697)

يؤكد "حسن حنفي" على ضرورة تحويل مجال علم الكلام من التركيز على "الإله" إلى التركيز على "الإنسان"، ومن ثم تحويله إلى علم يبحث في الصراع الاجتماعي، بالانتقال من عصر العقائد إلى عصر الثورة. وقد بين ذلك بالقول: "يمكن إعادة تشكيله وتصحيح مساره، ونقله من وضعه الزائف القديم إلى وضعه الصحيح الجديد، وتحويله لا من مجرد 'علم الإله' إلى 'علم الإنسان' فحسب، إذ قد لا يعبر هذا التقابل بدقة عن جوهر الحضارة التي ولد من رحمها هذا العلم، بل إلى تحويله من علم العقائد الدينية إلى علم الصراع الاجتماعي، باعتباره العلم الذي يعالج العقائد الدينية كمحركات لسلوك الجماهير في العصر الراهن، والتاريخ يشهد على ذلك منذ تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة... إنه العلم الذي يقدم الأسس النظرية لسلوك الأمة سواء على المستوى الفردي أو الجماعي في فترة زمنية محددة، وهي الفترة التي نعيشها اليوم (حنفي،1988،الصفحات 74-75)، و من خلال هذا الدور الجديد الذي يقوم به علم الكلام بعد تعديله أو تصحيح مساره في نظره، تكون هناك صياغة جديدة له و لفروعه، "كل ذلك يؤدي بنا في نهاية الأمر إلى صياغة جديدة لعلم أصول الدين و فروعه مثل "لاهوت الثورة"، و"لاهوت التحرر"، و"لاهوت التنمية"، و"لاهوت التغيير الاجتماعي"، و"لاهوت المقاومة"، و"لاهوت التحرر"، و"لاهوت العدالة الاجتماعية"، و"لاهوت الجماهير".. وتلك هي رسالة التوحيد (حنفي،1988، صفحة 79).

في هذا النهج التجديدي الذي يحول دفة علم الكلام من التركيز على "الله" إلى التركيز على "الإنسان"، أو ما يُعرف بإنسنة الذات الإلهية وإعلاء شأن الإنسان، أو تحديث العقيدة وعلمنة الشريعة أو جعلها أكثر إنسانية، يُشكل التخلص من الهيمنة بجميع أشكالها: سلطة الماضي وسلطة التراث القديم، حيث لا يوجد سيادة إلا للعقل، ولا توجد قوة إلا للحاجات الضرورية للواقع الذي نعيشه. النص نفسه هو ثمرة لهذا الواقع، أو هو صدى لمطالبه منذ أن نُزل أو ظهر في البداية. ومن هنا، يُمكن تحرير وعينا المعاصر من الخوف والإجلال والطاعة العمياء للسلطات، سواء كانت هذه السلطات تنبع من التقاليد، أو الإرث الثقافي، أو السلطة السياسية. (حنفي،2002، صفحة 50). هذا الاتجاه الإنساني في علم الكلام يطلق عليه حسن حنفي لقب اليسار الإسلامي أو الديني على اعتبار أن هذا اليسار الإسلامي يعبر تعبيرا دقيقا عن حاجات الأمة الإسلامية في العصر الحديث: "إن اليسار الإسلامي إنما يعبر عن حاجة المسلمين اليوم إلى فكر ونظام، إلى حركة و تغيير، إلى قديم و جديد، إلى أصالة و معاصرة، ولا يدعمه إلا الجهد الفردي حتى يحافظ على استقلاله، و بالتالي تحيا الأمة من خلال تاريخها"(حنفي،1989، صفحة 75) .

إن مهمتنا الآن هي تطوير فكرنا الإصلاحي الحديث، و دفعه خطوة نحو الأمام، فاختيار مصر بظروفها الحالية، و في مرحلتنا الراهنة هو اختيار اليسار، و من ثم كان اختيارها الفكري هو اليسار الديني الذي بدأ في حركات الإصلاح الديني، لم تؤت أكلها بعد، فإذا طورنا حركات الإصلاح الديني و دفعناها خطوة إلى الأمام، انتقلنا من دور الإصلاح إلى دور النهضة بشرط الثورة(عبد الرازق،1995،صفحة 699)، و هذا ما يصدقه قول الأستاذ حسن حنفي : "فاليسار الإسلامي هو "الاختيار" الأخير في مستقبل مصر، الذي يعبر عن ماضيها وحاضرها و مستقبلها، وهو الاختيار الذي يبدو بعيدا من حيث التحقق، ولكنه في حقيقة الأمر قريب من حيث الإمكانات والتوقع... فاليسار الإسلامي هو الناصرية الشعبية.. وهو الإسلام والحركة الإسلامية والمحافظة الدينية تعبر عن ثقل تاريخي، لا حيلة لنا أمامه. اليسار الإسلامي هو الذي يحقق هذا التزاوج في وحدة باطنية عصرية بين الناصرية و الإسلام بين الحاضر و الماضي، بين الثورة و التراث، فلا يحدث أي تغير إلا من خلال التواصل، و من ثم يؤمن اليسار الإسلامي أية ثورات علمانية منفصلة عن التراث القومي للبلاد، وأية حركات إسلامية فارغة من أي مضمون اجتماعي في الزمان و المكان"(حنفي، 1989،الصفحات 38-39).

3- القراءة التاريخية لعلم الكلام الجديد

يؤمن حسن حنفي بأن علم الكلام له جذور سياسية وتاريخية متعمقة، حيث يعرف التاريخية بأنها "عملية تشكل الظواهر بنشأتها وتطورها داخل مجتمع محدد، في ظروف خاصة، وخلال فترة زمنية معينة ."(الرفاعي، 2016، صفحة 221) لذلك، يُعد علم الكلام، وفقًا لهذا التصور، علمًا ينمو ويتطور عبر الصراعات الفكرية والسياسية التي ميزت الأطوار التاريخية والاجتماعية الخاصة. ومن هنا تبرز أهمية الاعتراف بالطابع النسبي للأفكار التي طورتها الفرق الكلامية، باعتبارها نتاج جهود بشرية قابلة للنقاش والتقييم. يبرز الجانب التاريخي لعلم الكلام في عصر حنفي من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية: تاريخ الفرق، وأطروحات العقائد، وتاريخ الثقافة والعصور.

"إذ يدل تاريخ الفرق الكلامية، كما وصفه مؤرخو هذه الفرق، على أنها ظهرت في سياقات اجتماعية وسياسية محددة ."(الرفاعي،2016،صفحة223) الخلافات السياسية والعقدية كان لها دور كبير في تشكيل الخوارج، الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة، وغيرها من الفرق الكلامية، مما يؤكد على الطابع التاريخي لفكرها الكلامي الذي يعكس الأحداث التي سعت كل فرقة لتفسيرها وتأويلها بناءً على أسسها النظرية والفكرية. وبالنسبة للتحليل التاريخي للنظام العقدي الكلامي، يلاحظ القارئ أنه أمام علم تطور بشكل تدريجي ومتسلسل عبر العصور، حيث أضاف كل متكلم جديد لبنة لهذا البناء، حتى تم تكوين الأسس والمبادئ الخاصة بكل فرقة. "هكذا، علم الكلام هو علم

تاريخي بامتياز، تشكل في رحم التاريخ وتطور معه، ويمكن تتبع مراحل تطوره كما نتبع أي ظاهرة حية من نشأتها وتطورها واكتمالها ونهايتها."(الرفاعي،2016،صفحة225) وقد وصل علم الكلام إلى ذروته في القرون الخامس والسادس والسابع قبل أن يشهد تراجعًا بدءًا من عهد ابن خلدون، ثم جاءت محاولات لإصلاحه منذ عهد محمد عبده حتى اليوم، بهدف نقله من علم كلام قديم إلى جديد، سواء في المفاهيم، أو الموضوعات، أو المناهج، أو الأهداف والرهانات. أما بالنسبة للبعد التاريخي للثقافة، فقد استفاد علم الكلام من ثقافة عصره، سواء كان ذلك في اللغة، أو المعرفة، أو المناهج، متأثرًا بعلوم اللغة والنحو والفقه، وكذلك بعلوم الفلسفة والمنطق والثقافات الأجنبية الوافدة. وكما استخدم علم الكلام القديم علوم عصره في فهم وتأويل النصوص والواقع، فإن علم الكلام الجديد يعتمد على العلوم الحديثة، الفلسفية، واللسانية، والإنسانية، والاجتماعية، والطبيعية، في قراءته لنصوص التراث ومعالجته للقضايا المعاصرة.

وفي ضوء التحولات التي طرأت على أحوال المسلمين وظروفهم، "لم تعد الفترات التاريخية الأولى قائمة، وتغيرت الأمور من النصر إلى الهزيمة، ومن الفتح إلى الاحتلال، ومن الوحدة إلى التجزئة."(الرفاعي، 2016، صفحة227) هذا يستدعي من علم الكلام الجديد أن يواكب التحديات الراهنة، مقدمًا حلولًا للقضايا الداخلية والخارجية التي تواجه المسلمين اليوم. ولم يعد الدفاع عن العقيدة هو المعركة الرئيسية كما في علم الكلام القديم، بل يجب على الجديد أن يواجه تحديات أخرى، مدافعًا عن ثروات الأمة ومستقبلها. (الرفاعي، 2016، الصفحات 227-228) وبينما عاش علم الكلام صراعات التأويلات والقراءات المختلفة، يدعو عبد الجبار الرفاعي إلى "دراسة التراث ضمن سياقه الزماني والمكاني والثقافي، مقترحًا نزع القدسية عنه ومعالجته بروح نقدية." (الرفاعي،2021،صفحة69)

يستلزم هذا الوضع معالجة الموضوعات بنهج نقدي، والسعي نحو تقويمها وتخطيها، مع ضرورة الفصل بينها وبين النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية. يجب علينا اعتماد منظور تاريخي عند فحص التفسيرات الكلامية، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها كانت محصورة ضمن سياقات زمنية وثقافية واجتماعية وسياسية معينة. "تاريخية علم الكلام تعتبر مسلمة أساسية يجب قبولها؛ إذ أن المعتقدات الدينية تُعد مقدسة وثابتة ومطلقة، بينما علم الكلام يُعد من نتاج الفكر الإنساني، شكله الناس في لحظة زمنية محددة وظروف تاريخية خاصة"،

(الخولي،2014، صفحة 28) مما يوجب ضرورة تطويره بما يتماشى مع المستجدات العلمية والثقافية والاجتماعية في الأطر التاريخية الجديدة. حسن حنفي يرى أن علم الكلام الجديد يتضمن "جهودًا اجتهادية لفهم العقيدة، أو للوصول إلى أساس نظري لها، وتتأثر هذه الجهود بالظروف التاريخية التي نشأت فيها، وبالأحداث السياسية التي أثرت فيها، وبلغة العصر الذي تم التعبير بها، وبالمستوى الثقافي الذي تم تطويرها فيه"."(حنفي،1988،الصفحات 631-632)

4 – مذاهب علم الكلام الجديد

المذهب الأول: يقوم على مبدأ أساسي وهو محاولة التوفيق بين الدين والعلم، بفعل انفتاح المُسلمين على العديد من النظريات العلمية الجديدة، ومحاولتهم لتحديد العلاقة بينها وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

المذهب الثاني : نادى دعاته إلى ضرورة تأسيس الدين تأسيسا فلسفيا، عن طريق المُصالحة بين ما جاءت به الفلسفات الغربية الحديثة والمُعاصرة وما هو موجود في الدين الإسلامي.

المذهب الثالث : ركز أنصاره على مسألة المنهج، والسعي إلى النظر في مدى استفادة علم الكلام الجديد من المناهج الفلسفية والغربية في دراسة مسائله وقضاياه المُختلفة.

المذهب الرابع : يمثله حسن حنفي، الذي أطلق عليه "التيار الاجتماعي السياسي"، مشيراً إلى أن التجديد والإصلاح ينبغي أن ينظر إليهما من خلال الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمعات الإسلامية، مرتبطة بالتبعية والاستبداد والتخلف. حنفي يرى أن علم الكلام الجديد يجب أن يعالج قضايا اللاهوت السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويدمج بين العقيدة والشريعة لمنع حدوث انفصال بينهما، ولضمان أن تكون الحلول المقترحة في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية متوافقة مع جوهر العقيدة الإسلامية. بواسطة هذا النهج، "توجه العقيدة الشريعة، وتصبح دليلاً لسلوك المسلم في المجتمع، في سعيه نحو إقامة نظام سياسي واجتماعي واقتصادي ينبع من العقيدة"، (الرفاعي، 2016، ص502). وهكذا، يتطلب علم الكلام الجديد، كما يرى حسن حنفي، فهماً جديداً للعقيدة الإسلامية يتناسب مع التحديات المعاصرة المتعلقة بالهيمنة الاستعمارية والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، مما يستلزم تقديم تفسيرات جديدة للنصوص الدينية تكون قادرة على استخراج المعاني والقيم التي تلبي احتياجات المسلمين في الظروف الراهنة.

5 – الانسان محور علم الكلام الجديد

تعتمد فلسفة حسن حنفي في علم الكلام على ركيزتين أساسيتين:

أولاً: الانتقال من الاهتمام بالأمور الإلهية إلى التركيز على الجوانب الإنسانية. يرى حنفي أنه يجب تغيير المحور من التركيز حول الله إلى التركيز حول الإنسان باعتبار الوحي كلام الله الموجه للإنسان. بالتالي، يقترح حنفي أن موضوع الوحي يجب أن يكون علم الإنسان بدلاً من علم الله. يعني ذلك أن الوحي يصف وضع الإنسان في المجتمع والكون، مما يعني أن الدين نفسه تاريخي بطبيعته. (حنفي،1989، الصفحات 57-58)

ثانيا- الانتقال من الأخرويات إلى الدنيويات، هذا يمثل بعد الزمان في الثقافة الوطنية، حيث تتركز في كثير من جوانبها على ما يحدث خارج العالم و في نهايته، خاصة ما كان منها إفراز للطبقات المحرومة، حيث تجد فيه تعويضا عن حرمانها و إشباعا لحاجاتها، يتضح في العقائد عندما تتم

خلف عوالم الجنة و النار، و أحوال القبر، وأهوال القيامة، و مشاهدات الإسراء والمعراج عن طرق الخيال الشعبي، و بأدق التفصيلات. و لما كانت الغاية من إعادة بناء الثقافة الوطنية قبول تحديات العصر، فإن العودة إلى الحاضر تكون أكثر قدرة على تحريك الجماهير، وتجنيد قواهم و العودة من الخيال إلى الواقع، من الوهم إلى الحقيقة (حنفي، 1989، صفحة 36)، الانتقال في المحاور من التركيز على الله والغيب إلى التركيز على الإنسان والطبيعة يمثل أيضًا تحولًا من الاعتماد على سلطة النصوص ومصادرها إلى الاعتماد على سلطة العقل واستدلالاته ومنطقه. بموجب هذا التحول، تتحول السلطة في المجتمع من سلطة الأشخاص والكتب والنصوص إلى سلطة العقل. يتم تشجيع الحوار والنقاش بين جميع الآراء والاتجاهات بدلاً من وقوع صراع فقهي بين التفسيرات المختلفة، حيث يكشف كل منها عن مصالحها. (عبد الرازق،1995، صفحة 680).

وبالتالي، يصبح علم الكلام في جوهره دراسة للإنسان بدلاً من دراسة "الله"، ويجب أن يعود إلى حقيقته التي تتمثل في دراسة الإنسان. وفي ضوء هذه الرؤية، يكشف علم أصول الدين ببنيته عن علم الإنسان ووجوده وصفاته وعقله وماضيه ومستقبله ومجتمع الإنسانية. (حنفي، 1982، صفحة 398).

عند التدقيق في التاريخ، نجد أن الإنسان كان حاضرًا في كل مجال من مجالات العلم ومذاهب الفكر، ولكنه كان مقيدًا بالأغلفة اللغوية والعقائدية والإلهية والتشريعية التي أدت إلى إخفاء جوهره. ومن هنا، تكمن مهمتنا في كشف تلك الأغطية وإزالتها، حتى ننتقل بالحضارة من المرحلة الإلهية إلى مرحلة إنسانية جديدة. ومن خلال هذا النهج، يمكننا التغلب على أزمة الإنسان في عصرنا الحالي، وهي غيابه من فكرنا القومي. "(حنفي، 1982، الصفحات 394-395).

ولعل ما يبرر أنسنة علم الكلام عند الأستاذ حسن حنفي، هي أنسنة المفاهيم الأساسية لعلم الكلام باعتبارها المبادئ الأولية له والمتمثلة في الآتي:

أولا: الله-تعالى- المحور الأساسي لعلم الكلام، ليس سوى تعبير عن مطلب إنساني أو أمنية إنسانية. يقول حسن حنفي: "إن لفظ "الله" يحتوي على تناقض داخلي في استعماله، باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني و التصورات، وباعتباره معنى مطلقا يراد التعبير عنه بلفظ محدود، وذلك لأنه يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معنى معين، أي أنه صرخة وجودية أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بتصور من العقل، هو رد فعل حلى حالة نفسية أو تعبير عن إحساس أكثر منه تعبيرا عن قصد أو إيصالا لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضا عن فقد، يكون في الشعبي هو الله، و كل ما نصبوا إليه و لا نستطيع تحقيقه فهو أيضا في الشهود الجماهيري هو الله وكلما حصلنا تجربة جمالية قلنا: الله الله، وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله...فالله لفظة نعبر بها عن صرخات الألم، و صيحات الفرح، أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفا لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفا خبريا"(حنفي،2002،صفحة 128)، فالإنسان في لحظة من

لحظات الاغتراب اخترع لفظة الله ليعبر عن رغباته وأمنياته "فالله باعتباره هو الوجود ليعبر الواحد، أو المجرد الصوري أو العلة الغائبة كل هذه التصورات هي حقيقة الأمر مقولات إنسانية تعبر عن أقصى خصائص الإنسان" و ذلك كله ينبع من تصور حسن حنفي لعلم الكلام على اعتبار أنه علم دراسة الإنسان الكامل، وليس علم دراسة الله ولكن لسوء الحظ سماه الإنسان بغير اسمه، و أطق وظائفه مغالاة فيه طالما ظل بعيدا المنال صعبة للتحقيق.(حنفي،1982،صفحة 420)

ثانيا: الإلهيات إنسانية، هي وصف للإنسان الكامل، يقول حسن حنفي: "الإلهيات في الحقيقة وإن بدت نظرية في الله ذات وصفات وأفعالا هي وصف للإنسان الكامل ذات وصفات وأفعالا... فالإنسان إذن قابع في الإلهيات"(حنفي، 1982، صفحة 459).

ثالثا: النبوات إنسانية، "فالنبوة التي تتحدث عن إمكانية اتصال النبي بالله، و تبليغ رسالة منه هي في الحقيقة مبحث في الإنسان كحلقة اتصال بين الفكر و الواقع، و أن الإنسان ذو رسالة يحققها و يبلغه الأجيال القادمة و أن الإنسان له تاريخ هو تاريخ الوحي، و إنزاله على فترات طبقا لتطور الوي الإنساني حتى استقلاله النهائي، و أن الوحي يمكن عقله و يمكن تحقيقه، ويمكن أن يكون نظاما للعالم تجد فيه الطبيعة كمالها"(حنفي، 1982،صفحة 397).

رابعا: المعاد الإنساني، بدليل اعتباره أن المعاد الذي يتناول أمور البر والنشور والحساب والثواب والعقاب، يكشف أيضا عن الإنسان ومستقبله فهو الذي سيبعث من جديد، وهو الذي سيتجاوز الموت والفناء، الذي سينال الخلود.

خامسا: الإيمان والعلم إنسانيان، وقد أوضح حسن حنفي ذلك قائلا:" الأسماء والأحكام أسماء الإيمان والكفر، و الفسوق، و العصيان و أحكامها فهو موضوع الإيمان و العمل... و هو موضوع إنساني خالد لا يحتاج إلى نزع قشور للوصول إلى لباب، خاصة إذا كنا مرجئة للأجيال فالإيمان والعمل كلاهما يعبر عن نظر الإنسان و عمله"(حنفي، 1982، صفحة 397).

سادسا: الإمامة موضوع إنساني خالص، وعلى حد تعبيره، "فإنها لا تحتاج إلى نزع قشور أو رفع أستار، لأنها تشير صراحة إلى السياسة و إلى حياة الناس معا في نظام... ومن ثم فهي مشكلة عن نظرية، و إنسانية لا إلهية"(حنفي، 1982،صفحة 397).

6- حسن حنفي وثنائية الاستعمار والاستبداد في علم الكلام الجديد

يرى حسن حنفي بأن "لا يوجد ما يُعرف بالعلم الكلامي القياسي المُوحّد، الذي يمكننا الاعتماد عليه لقياس الاجتهادات الأخرى في مجال علم الكلام. (الرفاعي، 2016،صفحة501)

وبناءً على ذلك، يعتبر أن التجديد كان يحدث دائماً في تاريخ علم الكلام الإسلامي، فور تطوير أفكار جديدة من قبل العلماء أو الفرق، تتنافى مع التيارات الكلامية المُعمول بها في تلك الفترة. ومن هذا المنظور، قام عمرو بن عبيد بتقديم مقترحات جديدة عندما تحدى الرأي المتسلط

الذي يدعم الجبر والقضاء والقدر، من خلال كتابته "رسالة في الدفاع عن خلق الأفعال". وبناءً على معارضتهم للموقف الجبري السائد، وتأكيدهم على مفهوم القدرة والاستطاعة، فإن المعتزلة أصبحوا رواداً في علم الكلام في تلك الفترة. وكذلك، قام أبو الحسن الأشعري بابتكار منهجية كلامية مُختلفة عن المعتزلة، مما يُظهر أهمية ابتكار الأفكار في مجال علم الكلام في كل فترة زمنية. ونتيجة لهذا المفهوم، يرى حنفي أن التنوع في الآراء هو أمر طبيعي في علم الكلام، وأن علم الكلام كان دائماً مواجهاً للتحديات من خلال تجديد ذاته بشكل مستمر. (الرفاعي،2016، صفحة 498)

.وبناءً على ذلك، يعتبر أن التجديد كان يحدث دائماً في تاريخ علم الكلام الإسلامي، فور تطوير أفكار جديدة من قبل العلماء أو الفرق، تتنافى مع التيارات الكلامية المُعمول بها في تلك الفترة. ومن هذا المنظور، قام عمرو بن عبيد بتقديم مقترحات جديدة عندما تحدى الرأي المتسلط الذي يدعم الجبر والقضاء والقدر، من خلال كتابته "رسالة في الدفاع عن خلق الأفعال". وبناءً على معارضتهم للموقف الجبري السائد، وتأكيدهم على مفهوم القدرة والاستطاعة، فإن المعتزلة أصبحوا رواداً في علم الكلام في تلك الفترة. وكذلك، قام أبو الحسن الأشعري بابتكار منهجية كلامية مُختلفة عن المعتزلة، مما يُظهر أهمية ابتكار الأفكار في مجال علم الكلام في كل فترة زمنية. ونتيجة لهذا المفهوم، يرى حنفي أن التنوع في الآراء هو أمر طبيعي في علم الكلام، وأن علم الكلام كان دائماً مواجهاً للتحديات من خلال تجديد ذاته بشكل مستمر. (الرفاعي، 2016 ،صفحة 498) لذا، فإن المتحدث الجديد في العصر الحديث بحاجة إلى استيعاب المفاهيم والمناهج والأدوات العلمية الحديثة، لمواجهة التحديات وحل المشكلات التي تطرحها الظروف التاريخية الراهنة للمجتمعات الإسلامية.

يعتبر حسن حنفي أن علم الكلام الجديد يمثل جزءًا من الحركة الإصلاحية الإسلامية الواسعة التي انتشرت في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، بدءًا من القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر، ويربط بين العلم الكلامي الجديد وجهود الإصلاح التي تهدف إلى حماية مصالح الأمة تحت مظلة الدين الإسلامي، دون اللجوء إلى التوجهات القومية أو الليبرالية أو الاشتراكية أو أي توجه آخر. وهذا يضع عبءًا هائلًا على عاتق العلم الكلامي الجديد، حيث يجب عليه أن "يملأ الفجوة الفكرية التي تعاني منها الأمة الإسلامية حاليًا، بين علم الكلام التقليدي الذي لم يعد يعبر عن المصالح، والأيديولوجيات السياسية الغربية التي تمتلك أصولًا خارجية."(الرفاعي،2016، صفحة 499) .

7 - علم الكلام الجديد وقضايا المسلم الراهنة

إذا كان العلم الكلامي القديم يُنظر إليه على أنه دفاع عن العقيدة من خلال الحجج العقلية، فإن حسن حنفي لا يقتصر علم الكلام على هذا المجال فقط، بل يربطه بالمشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يواجهها المسلمون، ويجعله وسيلة للدفاع عن قضايا

المسلمين بشكل عام، مثل التخلف والتبعية والاستبداد وغيرها. وهذا ما يعكسه قوله: "اعتبر القدماء علم الكلام دفاعًا عن العقيدة، ولكن حسن حنفي يعتبره دفاعًا عن المسلمين."(الرفاعي،2016، صفحة 509) ومن هنا، يتضح أن تحدي علم الكلام الجديد هو الدفاع عن مصالح المسلمين بموجب العقيدة الدينية، وتحويل العلوم الإسلامية إلى أيديولوجيا قادرة على مواجهة التحديات التي تشكلها الأيديولوجيات الليبرالية والقومية والاشتراكية وغيرها. وتتطلب هذه المهمة، برأي حنفي، توحيد العلوم المختلفة تحت رؤية واحدة تهدف إلى تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وتلبية احتياجات المسلمين في العصر الحالي.

8- خاتمة:

مما سبق نستنتج أن النزعة الإنسانية في علم الكلام الليبرالي في مصر، تكاد تأخذ صورتها المتكاملة في كتابات حسن حنفي بمحاولته تحويل علم الكلام كله من دراسة الإلهيات إلى دراسة الإنسانيات، على اعتبار أن الميتافيزيقيا أو الغيب اختراع إنساني في لحظة من لحظات الاغتراب الديني، و قد تأثرت هذه النزعة تأثرا كبيرا بالكتابات التجديدية في الفكر الغربي و بخاصة في علم الكلام المسيحي، و ضرورة التحويل الكامل للاهوت من دراسة الإلهيات إلى دراسة الإنسانيات.

ما يمكن استخلاصه من تحليل تصور التيار الليبرالي الإنساني لعم الكلام من خلال نموذج حسن حنفي أنه محاولة جادة لتجاوز أطروحات الكثير من التيارات خاصة في مصر للإلهيات في الفلسفة الإسلامية ما يلي:

أولا : بفضل القراءة التاريخية للخطاب الكلامي، استطاع حسن حنفي التمييز بين النص المقدس والنص المفسر، ووضع الخطاب الكلامي في سياقه التاريخي والاجتماعي والثقافي. ونتيجة لذلك، يتعين بالضرورة علينا أن ننقح ونراجع هذا الخطاب وفقًا لتطورات العصر الحالي وتحدياته.

ثانيا: رفض حسن حنفي لأدلة وجود الله كدليل الجوهر والعرض، لأنه يرى في إثباته وجود الله بدليل عقلي أو تجريبي يقوم على تدمير الإنسان وحريته، و يجعله مغتربا في واقعه.

ثالثا: إثبات وجود الله عند حسن حنفي معناه وجود مجتمع يسوده الإحباط والاغتراب والمعاناة من مشكلات لا حل لها.

رابعا: اختلاف حسن حنفي مع كثير من المفكرين أمثال: محمد عبده، مصطفى صبري حول الصفات الإلهية لأن الصفات عنده إنسانية لا إلهية، و ذلك لكون إثبات الصفات الله أو إثبات وجود الذات الإلهية هو تدمير الإنسانية و العالم.

خامساً: يعتبر حسن حنفي أن التجديد في علم الكلام لا يعني التخلي النهائي عن العلم الكلامي القديم ووضعه في متحف التاريخ، بل يتضمن تجديده إما عبر تقديم تفسير جديد

للمفاهيم القديمة، أو إبراز الجوانب المبتكرة من التراث القديم، أو استعادة العقلانية والتنويرية في الأفكار القديمة من خلال اختيار بديل جديد، أو حتى إبداع بدلائل جديدة غير مسبوقة.

سادساً: رفض حسن حنفي فكرة حدوث العالم التي دعا إليها بعض المفكرين مثل محمد عبده ومصطفى صبري، بسبب تأثيرها السلبي على الإنسان والمجتمع، واعتبرها مجرد هدم للتقاليد والقيم، واعتراضاً على هذا الاتجاه الليبرالي المادي.

سابعاً: يُعَدّ حسن حنفي مُتحدثاً جديداً، يمثل تيار اللاهوت الاجتماعي السياسي، حيث ركز على الهدف الأساسي لعلم الكلام وهو الدفاع عن مصالح الأمة، ومُواجهة الاستعمار والغزو الثقافي، وكشف مظاهر الاستبداد والتخلف التي تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية.

و في الأخير يمكن القول أن الفكرة القائلة بإضفاء الصفات الإنسانية على الله، و أنه مكون على ضوء نماذجنا العقلية، أو أنه صورة من صور الفكر الإنساني هي دعوى إلى الاعتقاد بأن علة الكون يمكن إدراكها، فهذا أمر يدعو للمراجعة من زاوية الثقافة العربية و الإسلامية المعاصرة ، وبالتالي تجديد المنظومة الكلامية التقليدية هو مدخل لتجديد الفكر الديني الإسلامي.

قائمة المراجع

1. أحمد محمد عبد الرازق . (1995). *فلسفة المشروع الحضاري*. الولايات المتحدة الأمريكية: منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
2. حسن حنفي. (2012). *التراث والتجديد*. مصر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
3. حسن حنفي. (1998). *الدين والثورة في مصر(1952-1981)*.القاهرة: مكتبة مدبولي .
4. حسن حنفي. (1982). *دراسات اسلامية*. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
5. حسن حنفي. (1988). *من العقيدة الى الثورة*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
6. حسن حنفي. (1981). *اليسار الاسلامي،كتابات في النهضة الاسلاميةالقاهرة*: المركز العربي للبحث والنشر.
7. عبد الجبار الرفاعي. (2021). *مقدمة في علم الكلام الجديد*. الخرطوم: دار المصورات للنشر.
8. عبد الجبار الرفاعي. (2016). *موسوعة فلسفة الدين*. القاهرة: مكتبة الفكر الجديد.
9. يمنى طريف الخولي. (2014). *الطبيعيات في علم الكلام : من الماضي الى المستقبل*. القاهرة: مؤسسة هنداوي.